الأسماء العتيدة والأسماء المجددة

للدكتور عمر فروخ

في عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين من القرن الإفرنجي الجاري — وفي أثناء متابعة دراستي في ألمانيا — حضرت في جامعة ليبزغ دروس الأستاذ الدكتور أرنست برغمن أحد مستشاري هتلر للأمور الدينية وكان موضوع محاضراته : « تاريخ الدين والأديان » . ولما وصل أرنست برغمن إلى الإسلام قال كلاما مقبولا ، ولكنه أبدى ملاحظة أسف فيها على أن المسلمين يسمون أولادهم أسماء تتصدرها كلمة « عبد » ، بمعنى الرقيق المملوك .

لم أجد من المفيد أن أناقش الأستاذ برغمن في أثناء الدرس ، فلقد كنت المسلم الوحيد في ذلك الصف ، ولم يكن مقدوراً لمناقشتي أن تثمر بين طلاب لا يعرفون من الإسلام إلا ما قاله الأستاذ في محاضرته تلك .

ولكن بعد انتهاء المحاضرة وقفت بضع دقائق مع الأستاذ وحاولت أن أبسط له أن كلمة «عبد» إذا جمعت على « عباد » يصبح لها معنى غير المعنى الذي لها إذا هي جمعت على « عبيد» . وآسعفتني اللغة الألمانية بكلمة « باند » (Band)، فإنها إذا جمعت على (Bände) كان معناها « الجزء من كتاب» ، وأما إذا جمعت على (Bänder) فإن معناها يدل حينئذ على الحزام أو الرباط أو الشريط .

ووضحت الفكرة للأستاذ برغمن ودعاني إلى بيته بضع مرات وسألني عن أمور وحقوق في الإسلام بدلت كثيرا مما جاء في هذا الموضوع في تلك المحاضرة . ولكن الكلام على ذلك بعيد عن البحث الذي أجيء به في هذه الجلسة من هذه الدورة (عام ١٩٨٣) :

أحب البشر منذ أقدم الأزمنة أن يسموا أولادهم أسماء تدل على نعمة الله عليهم أو على صلة تربطهم بالله. فما يمكن الاستشهاد به هنا الاسم العَقَدي (ويقولون: الأكادي) «سرجون» من أسماء الأعرابيين القدماء (ويقول نفر من المؤرخين خطأ : الساميون) هذه الصيغة وصلت إلينا من اليونانيين من طريق الرومان أو اللاتين من طريق الفرنسيين أو من طريق الإنكليز . وأحسب أن اليونانية القديمة واللاتينية القديمة لم يكن فيهما صوت «الشين » ثم عرفنا نحن في بلاد الشام حصن « شيزر » مما يدل على أن هذا الصوت نشأ متأخرا في اللاتينية ، ولعل لهذا الرأي سندا من كثرة وروده في الإيطالية في كلمات كان حقها أن تلفظ في اللاتينية بالقاف .

(*) ألقي البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

ونرجع إلى الاسم «سرجون» فإنه يقابل الاسم القديم شرّوقين. و«شرو» هو الملك و «قين» (بالكسر) هى القين (بالفتح) بمعنى العبد ، فيكون المقابل لاسم «شروقين» القديم «عبد الملك» بالعربية . ويحسن بالمؤرخ العربى النابه إجراء الأعلام على ما تلفظ به فى لغتها الأصلية أو على ما قبلته اللغة العربية من اللفظ بها. يجب أن نقول شروقين أو عبد الملك ، لا سرجون ، وأن نقول «سَلْع»(بفتح فسكون) لا بترا ولا البتراء لأن كلمة «سلع» معناها الحجر أو الصخر ، فلما نقل اليونانيون هذا الاسم إلى لغتهم كانوا عاقلين فسموها بلفظ يدل على معناها فى لغتهم . فإذا قلنا نحن اليوم «بترا» لم نَعْدُ أن نقول معنى اسم بلد بلغة غيرنا. وأما إذا قلنا «البتراء» (مؤنث الأبتر) أى «المقطوعة الذنب» أو ما يشبه الذنب ، كنا فى الحقيقة جاهلين لطبيعة البلاد التى نعيش فيها . وليس بعد هذا الجهل جهل .

ونأتى إلى اسم آخر أقرب فى المكان إلى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وهو الاسم الذى يقال له «رمسيس» والذى وصل إلينا من اللسان اليونانى أو اللاتينى عبر اللسان الفرنسى أو اللسان الإنكليزى وربما أراد نفر أن يكون أكثر أمانة ، فهؤلاء يقولون : رعمسيس ، وبذلك يكونون قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم . هذا الاسم يجب أن يكون ، فيما أحسب — وأنا لاأعرف من اللغات القديمة إلا نتفا — رع مسو (قال من أخذت عنه : خلقه رع) . ورع هو الإله الشمس أو الشمس الإله . وأحسب أيضا أن هذا الاسم قد استمر فى مصر بعد أن تعربت فقالوا فيه : « عطا الله » ، تقيدا باللفظ : عطا (بمعنى أعطى ، مع التساهل) والله بالرفع فاعل . وربما اقتصر الناس على معنى الاسم فقالوا : عطاء الله (فى مثل ابن عطاء الله الإسكندرى) .

ويبدو أن الروم البيزنطيين (اليونان بعد اعتناق النصرانية) قد فهموا معنى هاتين التسميتين : العقدية البابلية والمصرية الفرعونية، فهما قريبا فسموا «ثيودوروس» (عبد الله) و « ثيودورا » (عبدة الله ، عابدة الله ، أمة الله) .

ومن الأسماء القديمة فى الأعرابيين « نبوخذ نصّر» ، وهو متأخر النشأة (فى الكلدانيين) ومزيج من اللغة الأعرابية واللغة الفارسية : فكلمة « نبو » (فى المعنى اللغوى) : المفسر أو المنبئ . وكانت كلمة «نبو» عند الكلدان تطلق على الكوكب عطارد ، وعطارد فى الخرافات القديمة

رسول الآلهة : ويبدو أن «خذ» هى «خدا» الفارسية بمعنى إله . فيكون معنى « تبوخذ نصر » فيما أحسب « رسول الإله نسر » ونسر من آلهة القدماء، عبده جماعة من عرب الجاهلية وورد ذكره فى القرآن الكريم :

ويبدو أيضا أن العرب اختصروا «نبوخذ نصر » فجعلوها «بختنصر » . وتسمى نفر من النصارى فى بلاد العرب ، قبل الإسلام وبعده «بخت يشوع» ، كما تسموا « عبد المسيح » . ولعل كلمة بخت (وهى فارسية بمعنى الجد بفتح الجيم أى الحظ) أصبحت تعنى « العبد » :

وعرف العرب فى جاهليتهم هذه الأسماء المعبدة فسموا : عبد اللات ، عبد مناة ، عبد العزى ، عبد شمس ، عبد القيس ، عبد يغوث ، عبدياليل ، وسوى ذلك من أسماء الأصنام ، كما سموا عبد الدار وعبد الكعبة وعبد الخير (والخير أحد الإلهين فى الدين الثنوى : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلام) . وسموا أيضا عبد الله .

وكذلك سمى عرب الجاهلية تيم الله وتيم اللات وتيم قريش. ومعنى تيم «العبد» جاء فى ابن الأثير (بيروت ٥ : ٢٤٩) : « وفيها مات محمد المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمى تيم قريش » فهل يجوز لنا أن نقول إن «قريشا» كان اسما لصنم مع أن « تاج العروس » لم يذكر ذلك ، ولا أحسب أن ابن الكلبي قد ذكر ذلك فى كتاب الأصنام :

وكان إذا دخل أحد فى الإسلام ، فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى بأحد هذه الأسماء الوثنية ، بدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فجعله عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد الرحيم أو ما يشبه ذلك .

وفى الإسلام اتسعت التسمية بالأسماء المعبدة بإضافة كلمة «عبد» إلى أسماء الله الحسنى . وأسماء الله الحسنى مائة : أحدها اسم جامع لكل معانيها هو «الله» ثم تسعة وتسعون صفة على وزن اسم الفاعل أو صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة . ولا وجه للقول بأن أسماء الله الحسنى مائه : تسعة وتسعون منها معروفة ، وواحد منها غائب عنا من عرفه نال كذا وكذا .

وإذا نحن استعرضنا هذه الأسماء الحسنى وجدنا أكثرها يدخل فى أسماء الناس ولكن لا نسمع فى الأسماء المعبدة اسما هو : عبد المصور أو عبد القابض أو عبد المذل أو عبد المميت ، غير أن الناس يزيدون فى هذه الأسماء من عندهم فيسمون مثلا عبد المقصود وعبد المحسن وعبد الجواد وعبد السيد . ومع أن عبد السيد اسم مألوف عند النصارى ؛ لأن «السيد» عندهم هو المسيح عليه السلام ، فإن فى المسلمين أبا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ (ابن الأثير — بيروت ٩ : ٥٩١ و ١٠ : ١٤١) ، وهو فقيه من أهل بغداد تولى التدريس فى المدرسة النظامية .

والشيعة يختلفون مع أهل السنة والجماعة فى أنهم يضيفون إلى كلمة «عبد» غير أسماء الله الحسنى فيسمون عبد الرسول وعبد النبى وعبدالصاحب (على بن أبى طالب) وعبد الحسن وعبد الحسين وعبد المحسن (والمحسن يقال فيه إنه ولد للإمام على من فاطمة ، ولكنه ولد ميتا) . وكذلك يسمون عبد الجواد . والجواد هو فى التاريخ الشيعى تاسع الأئمة أبو جعفر محمد بن على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . وكانت وفاة عبد الجواد ، سنة ٢٢٠ للهجرة (٨٣٥ م) .

غير أن الشيعة إذا سموا عبد الرسول أو عبد الحسين فإن لفظ «عبد» لا يكون هنا عابداً بل خادما ، يدلنا على ذلك استعراض عدد من الأسماء عندالفرس: غلام على ، غلام حيدر (وحيدر هو على ابن أبى طالب) ، غلام حسين ، غلام محمد ، غلام رضا ، الخ .

ولكن هنالك اسمين من هذه الأسماء يردان عند الشيعة وعندأهل السنةوالجماعة، هما عبد المحسن وعبد الجواد . وأحسب أن المدرك السنى فى هذين الاسمين مختلف عن مدرك الشيعة فيهما . إن هذين الاسمين (الجواد والمحسن) ليسا من أسماء الله الحسنى (راجع المقصد الأسنى للغزالى ، بيروت دار المشرق ١٩٧١ م ، ص ٦٣) ، ولكنهما عند أهل السنة والجماعة مزيدان على أسماء الله الحسنى ، مثل المقصود والعاطى وغيرهما .

وفى المدة الأخيرة قلت الأسماء المعبدة بين المسلمين بعوامل مختلفة . ثم بالغ نفر فى اجتناب هذه الأسماء ولم يستطيعوا التخلص منها جملة ، بعد أن سماهم بها آباؤهم ، فحذفوا منها المضاف ، فإذا عندنا اليوم أسماء منها : حميد ، مجيد ، عزيز فتاح ، وهّاب ، حكم ، جليل ، كريم ، رؤوف ، بديع ، رشيد، وغيرها أيضا، إلا أن عددا من هذه الأسماء يقبل التأويل بأن هذه الصيغ ليست عند التسمية من أسماء الله الحسنى ، ولكنها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان اتصافا قاصرا بينما هى فى الأسماء الحسنى تدل على الكمال. وإذا كان الاسمان : رشيد وحكم ، قديمين فى التسمية مفردين ، فإن عزيزا ومجيدا وفتاحا ووهابا وعددا آخر أشباهها أكثر تأخرا فى الزمن وأقل ورودا فى التاريخ . ومجمعنا اليوم يقوم فى شارع جديد أو فى شارع يحمل اسما جديدا : شارع عزيز أباظة .

وكان فى الأندلس نفر عرفوا باسم بنى حوط الله . وحوط مصدر «حاط» بمعنى حفظ وصان ورعا وحمى (تاج العروس ١٩ : ٢٢٠) والحوط قرية (١٩ : ٢٢٢) . وحوط أيضا اسم كثر وروده عند العرب (١٩ : ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ٢٢٦) .

وهذا الاسم يصغر فيقال : حويط (١٩: ٢٢٤)

وكيف دار الأمر فلا وجه لإضافة اسم الجلالة إليه ، فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ والحفيظ : «فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين »(١٢ : ٦٤ ، سورة يوسف) و « إن ربى على كل شىء حفيظ » (١١ : ٥٧ ، سورة هود) . وكذلك لايجوز أن يكون اسم الجلالة مضافا إلى اسم قرية ، فإن لله مافى السموات ومافى الأرض ؛ ولامضافا إلى اسم أحد من خلقه ، فالخلق كلهم عيال الله ، والله خالق كل شىء .

ولكن هذا الاسم « حوط الله » مشوه مرتين . إن أصل « حوط » هنا : حوت بمعنى السمكة ، وهو اسم رائج فى المغرب لكل مانقول له نحن فى المشرق : سمك . والخطف والتفخيم معروفان فى اللفظ المغربى ، ولعلهما كانا ممروفين أيضا فى الأندلس . وأما التشويه الثانى فى « حوط الله » فقد جاء من التحسين للفظ من التحقير (وكل فتاة بأبيها معجبة) . فالاسم يجب أن يكون فى الأصل الأندلسى « حوتللو » من « حوت » بمعنى سمكة ثم « أللو » علامة للتصغير فى اللغة الأسبانية . فيكون معنى الاسم «سميكة » (السمكة الصغيرة) . وعز على تلك الأسرة الأندلسية التى عرف فيها نفر من العلماء أن يكون اسمها بين الناس «حوتللو»، فنقلوه « إلى حوط الله » .

ويبدو لى أن العرب وأن غير العرب من الشعوب الأعرابية قد سموا «عبداً»اسمامفردا محلى باللام، أوغير محلى باللام ؛من النظر إليه على أنه علم لايحتاج فى العادة إلى لام التعريف . وعندنا من الأمثلة «طرفة بن العبد» ثم «العبد ابن أبرهة » من ملوك اليمن قبل الإسلام (ابن الأثير ١ : ١٦٨) . وهنالك أيضا بنو «عبد بن ثعلبة» و«عبد بن عبد مناف بن الحارث » و « عبد بن غوث الحميرى » و « عبد بن قصى » وغيرهم .

وكلمة « عبد » هذه تأتى فى الأسماء ، وفى اللغة العربية الفصيحة ، على صيغ مختلفة نحو عبد وعبدة (ولا أحسب أن التاء المقبوضة هنا للتأنيث) ، ثم عابد وعباد وعبود وعبدون وعبادة . أما « عبده » بالهاء ، فليست من الأصل ولا هى ضمير فى مثل قولنا : هو عبد الله وابن عبده ، ولو كانت كذلك لسمى العرب أبناءهم « عبده » ولم يحتاجوا إلى أن يسموهم — إذا هم شاءوا — عبد الرب أوعبد ربه . وإن الذين نقلوا منا أسماءهم من الواو فى « عبدو » إلى الهاء قد ظنوا أنهم بذلك يردون هذا الاسم من لفظه العامى إلى لفظه الفصيح . إن الواو هنا فى « عبدو » علامة للرفع (إذا نحن أخذناها من العربية القديمة) أو هى علامة للتعريف (إذا نحن استعرناها من اللغة الآرامية شقيقة اللغة العربية) .

إن عدداً من اللغات (كالآرامية والفارسية واللاتينية) ليس فيها علامة بارزة للتعريف . وتقوم الألف فى ختام الأسماء الآرامية مقام لام التعريف عندنا ؛ إذ أن هذه « الألف » تسقط فى اللغة الآرامية فى التركيب الإضافى

المعنوى (أى إضافة اسم إلى اسم) ، كما تسقط لام التعريف من المضاف عندنا فى الإضافة المعنوية أيضاً . ونحن نعرف ذلك من قرينة ملموحة فى الاسم الآرامى « عبدا » ، وهو من القديسين عندهم . هذا الاسم يكتب بالألف الطويلة ويلفظ أيضاً بالألف عند المشارقة (الآراميين الشرقيين : سكان الشام الداخلية والعراق) . أما الآراميون الغربيون (والذين يقال لهم : السريان من أهل شواطئ الشام) فإنهم يلفظون هذا الاسم بالواو المفخمة : إن هذا الاسم (وهذا موضع القرينة) إذا هو نقل إلى اللغة اليونانية كتب « عبدون » (بالتفخيم) ، مما يدل — فى كل حال — على أن هذه الألف فى « عبدا » زائدة ، ولعلها تقوم هنا مقام لام التعريف (عند العرب) أو لعلها تقابل فى اللغة اليونانية حالة من حالات الإعراب التى وصلت إلينا فى اسم الفيلسوف اليونانى فلاطن أو أفلاطن أو أفلاطون (بضم مختزل أو ممال وبالتفخيم فى الحالتين) .

ويبدو أيضاً أن اللغات الأعرابية قد فقدت الإعراب فى زمن متقدم ، ذلك الإعراب الذى كان بالحروف ثم انتقل إلى العربية بالحركات ، إلا فى كلمات نادرة . وقريب من ذلك ما حدث فى اللغات الأوربية . إن الإعراب سقط فى اللغات الأوربية الجنوبية والغربية وكذلك فى معظم اللغات الشمالية (كالألمانية والدنمركية الأسوجية والنروجية والإيسلندية) .

وورثت اللغة بضع كلمات — سبعة عدداً — لا تزال تعرب بالأحرف ، منها ، كما جاء فى الألفية :

أبٌ أخٌ حمٌ فو ذو هَنُ
والنقص فى هذا الأخير أحسنٌ

ثم كلمة « امرؤ » :

ثم وصل إلينا أيضاً عدد من أسماء الأشخاص فيها بقية من ذلك الإعراب بالحروف منها : معن وعمرو وعبدو وفضلو . أما « معن » فلحقت لفظاً بالأسماء المعربة بالحركات : وأما « فضلو » فلا يزال العامة والفصحاء عندنا يلفظونها بالواو لا بالضم فحسب ، وأما « عبدو » فقد احتال نفر منا فكتبوها بالهاء ، وبقيت « عمرو » فقالوا : إن الواو هنا للتفريق فى الكتابة بينها وبين « عمر » . فلماذا لم يفرقوا بمثل هذه الواو بين زُهَر وزَهْر ، وقَمر وقُمر إلخ ؟ والواقع أن الواو فى عمرو بقية من علامات الإعراب مثل كلمة « امرئ » التى أصرت على الاحتفاظ بحالها القديمة ولا تزال تعرب بالحروف وبالحركات معاً فى كل حالة من حالات الإعراب : بالواو ثم بالضمة على الراء (فى حالة الرفع) ، وبالألف ثم بالفتحة على الراء (فى حالة النصب) وبالياء ثم بالكسرة على الراء (فى حالة الجر) .

بقى أمر آخر :

أن التاء المقبوضة (أو المربوطة) فى « عبدة » ليست للتأنيث ، فلقد تسمى بها رجال منهم عبدة بن رباح الغسانى ، وكان

واليا على الجزيرة (شمالى الشام والعراق) فى أواخر الدولة الأموية (ابن الأثير ٥ : ٣٠٩)، ومنهم الشاعر الإسلامى عبدة بن الطبيب . وأما عنترة فأشهر من أن يحتاج إلى إشارة إليه بملاحظة أو بتعليق . وكذلك تسمى بهذا الاسم إناث أشهرهن عبدة صاحبة بشار بن برد .

وليس بنا الآن حاجة إلى دراسة صيغ مثل : عبّاد وعبّود وعبدون وعبادة ؛ لأنها تخرج بنا عما نحن بسبيله الآن .

رأينا فى الأسماء المعبَّدة التى مرت أن المضاف (كلمة «عبد») كان واحدا ثابتا وأن المضاف إليه كان أحد الأسماء الحسنى المائة . ثم بدا للناس أن يجعلوا المضاف إليه واحدا ثم يجعلوا المضاف مختلفا، يدل على ما يتخيلونه مما يتمنونه فى اسم وليدهم أو فيما يحبونه فى رجالهم (حينما يجعلون من تلك الأسماء ألقابا) ، نحو : فضل الله ، رزق الله ، حب الله، إلخ ، ويبدو أن هذه التسمية (أو تلك الألقاب) كانت موجودة عند القدماء ، كما رأينا فى اسم «رع مسّو» وفى اسم «وهب اللات» (وهو ابن الملكة زنوبيا ملكة تدمر) ولقد كثر هذا الاسم مرة أو اللقب مرة أخرى فى لفظ « هبة الله » ، ومعنى الأسماء الثلاثة واحد . ثم تنوع هذا الاسم بتنوع المضاف ، فكان عندنا : فضل الله ، رزق الله ، حب الله ، شكر الله ، سعد الله ، نصر الله ، خير الله ، عون الله ، حسب الله ، إلخ . ويمكن أن نفهم عددا الأسماء فى تراكيبها الحاضرة على أنها تركيب إسنادى أو تركيب إضافى فنقول : رَزَقَ اللهُ) على أنها فعل وفاعل) أو رِزْقُ اللهِ (على أنها مضاف ومضاف إليه) .

ثم بدا للناس أن يلزموا فى المضاف إليه كلمة الدين وينوعوا المضاف ، وأحب هنا أن أبدأ بلقب « أسد الدين شيركوه » ، وقد اتفق أن يكون اللقب (أسد الدين) والاسم (شيركوه) متقاربين . إن «شير» من الفارسية معناها « الأسد» ، وكوه فى الفارسية أيضا معناها الجبل . فإذا عربنا الاسم قلنا هو أسد الدين أسد الجبل .

وتفنن الناس فى المضاف الذى أضافوا إليه لفظ « الدين » ، فقالوا : شمس الدين وبدر الدين وقمر الدين ونجم الدين ، كما قالوا فخر الدين وعز الدين ونصر الدين وسعد الدين وكمال الدين وخير الدين وزهر الدين ونصير الدين وشرف الدين وغير ذلك. ثم قالوا أيضا « صدر الدين » .

ويبدو أن الذين أحبوا هذه الأسماء والألقاب كانوا من غير العرب ، وكانوا يكتفون بأن يلمحوا المعنى العام ولم يلقوا بالا إلى ظلال المعانى . فإذا قبلنا أن يكون معنى عز الدين وناصر الدين ونصير الدين هو معز الدين وناصر الدين (وهذان تركيبان موجودان أيضا فى الأسماء والألقاب) ، فما معنى شرف الدين وكمال الدين ؟! أمعنى ذلك أن الشخص المسمى كان شرفا للدين وكان كمالا للدين (بعد أن كان الدين ناقصا) أم أن هذا

الشخص المسمى «كمال الدين» يمثل الكمال فى الدين ؟ ثم إذا نحن قبلنا أن يكون للدين صدر فى الاسم « صدر الدين » أنقصد أن الشخص المسمى يحتل الصدارة فى الدين أم نعنى أن للدين صدرا فنلمح أنه يجب أن يكون للدين أعضاء أخر؟ ثم كيف يكون الإنسان « تاج الدين » أو تاجا للدين؟

ثم زاد الناس فى تفننهم فقالوا : سيف الدولة وفخر الدولة ، كما قالوا : نظام الملك وفخر الملك ، وغير ذلك .

إن هذا التساؤل ينقلنا إلى موضوعين مهمين : إلى تقليد بعض الناس بعضا فى الأسماء الرائجة وأسماء المشهورين ، ثم إلى أن الكثيرين من الناس يقصدون لفظ الاسم لا معناه .

يمر فى التاريخ حقب يتوفر الناس فيها على أسماء معينة حتى ليظن الباحث أنه ليس فى اللغة سوى هذه الأسماء . فى الأجزاء الثلاثة التى ألفتها فى تاريخ الأدب فى المغرب والأندلس كان الاسمان اللذان يغلبان على كل اسم آخر اسم محمد واسم عبد الله ولم يكثر هذان الاسمان فى الأسر المختلفة فحسب ، بل كانا يكثران فى الأسرة الواحدة أيضا . لقد كان الرجل وابنه وحفيده ، وابن حفيده وحفيد حفيده ، فى كثير من الأحيان يحملون اسم محمد ، ونسقت مرة نسب أديب فقلت : هو محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد (مكررة خمس مرات) ..

ومما زاد صعوبة البحث علىّ أن كل محمد ، فى العادة ، كان يسمى ابنه عبد الله ، فأصبح عندنا : أبو محمد محمد بن محمد وأبو محمد عبد الله بن محمد وأبو عبد الله محمد بن عبد الله ، وغير ذلك من الأسماء وكناها إذا نحن مضينا فى المخالفة بين الاسم والكنية ، وهذا يرجع إلى أن نفرا كثيرين كانوا — ولا يزال نفر قليل منهم — يحبون أن يسمعوا أسماءهم هم ينادى بها أبناؤهم .

ولم يقتصر حب التقليد فى التسمية على الأسماء الواردة فى الأسرة الواحدة ، بل تعدى التقليد إلى الأسماء التى يتسمى بها المشهورون — سواء أكانت تلك الأسماء لأصدقاء أو لأعداء — ففى عام ١٩٥٦ ، بعد أن انتهت الهجمة الأميركية الإسرائيلية على مصر بأثر الإنذار الذى وجهه رئيس المجلس السوفياتى الأعلى نيقولاى بلغانين سمى أحد المعلمين فى مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت (وكان اسمه هو أحمد) ابناً له ولد فى تلك الأيام «بولغانين » . ثم إن صاحبنا استفاق من وهمه وبدل اسم ابنه هذا . وفى مطلع الاجتياح الإسرائيلى للبنان رزقت امرأة فى الجنوب اللبنانى مولودا ذكرا فسمته «بيغن» .

وفى العام ١٢٩٣ للهجرة (١٨٧٦ م) جاء إلى عرش بنى عثمان سلطان شهير قدير يدعى عبد الحميد ، فكثرت التسمية باسمه فى أقطار العرب جميعا . وبعد الانقلاب

الذى قامت به الوزارة التى كثر أعضاؤها وأنصارها من «الدنما» (بالضم) : اليهود المتسمين بأسماء إسلامية ، وسقط به السلطان القوى عبدالحميد ، وجىء على أثر ذلك بالسلطان الضعيف الضعيف (مكررة مرتين) محمد رشاد ، سنة ١٣٢٦ للهجرة (١٩٠٨م) كثر فى البلاد العربية اسم رشاد . ثم نسيت التسمية بهذا الاسم ، لأن عوام الناس لا يرون فى خلع الأسماء على أولادهم إلا كما يرون فى خلع الألبسة على أبدانهم .

فى العام ١٩٢٠ ولد فى مصر أمير سماه أبواه «فاروقا» ، فاندفع الناس عندنا فى هذه التسمية اندفاعاً كبيرا. ثم هدأت الفورة فقل أن نسمع الآن بطفل جديد يسمى فاروقا — على ما فى هذا الاسم من المعنى ، وعلى ما لهذا الاسم من المجد التاريخى منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن الأسماء أيضا زىّ يشع ثم يخبو لمعانها — عند جماعات من الناس بالسرعة التى انتشر بها ذلك اللمعان .

وفى كثير من الأحيان لا يدرك الناس من الأسماء إلا ما يأخذ بأسماعهم منها . ففى عام ١٩٥٢ ، بعد الانقلاب على الأسرة العلوية فى مصر ، كان النجم اللامع فى مجلس الثورة جمال عبد الناصر ، فكثر عندنا فى لبنان الإعجاب بهذا الرجل واندفع الناس مدة طويلة فى تسمية أبنائهم باسمه . ولكن القليلين منهم كانوا يسمون أبناءهم «جمالا» . أما الكثرة فكانوا يدعون أبناءهم «عبد الناصر» (مع أن عبدالناصر اسم والد جمال عبد الناصر) . ويبدو أن الجهل فى الناس لا يقتصر عادة على جانب من حياتهم ، بل يغطى جوانب كثيرة منها .

عندنا فى لبنان شارع مطروق مزدحم أطلقت عليه الحكومة اسم « شارع عمر ابن عبد العزيز » غير أن الناس يقولون شارع عبد العزيز .

وهذه الغفلة فى إطلاق الأسماء على المسمَّين بها لا تظل دائما بريئة كما رأينا فى عبد الناصر مكان جمال ، وفى اسم عبد العزيز مكان عمر بن عبد العزيز . هنالك آباء لا علم لهم بلسان العرب وتاج العروس يسمون بناتهم « رُحاب» (بالضم) . وهنالك اسم أوضح معنى من هذا لا أريد ذكره هنا لأننى لا أحب أن أتعرض لتيار السياسة ، مع أنى أجيد السباحة فى البحر الخضم وأحمل شهادة فى السباحة من بيروت ومن برلين .

ومن الدلائل على غفلة نفر من الناس فى تسمية أولادهم قلة معرفتهم بمعانى الأسماء وألفاظها. عندنا فى بيروت رجل نائب فى مجلس الأمة ووزير سابق وصاحب مركز راتب فى الجامعة . لهذا الرجل ابن سماه «إيهابا» (بالياء بعد الهمزة) ، مع أن العرب سموا «إهابا». وكنت جمعت من أوراق البكالوريا اللبنانية الرسمية (نهاية المرحلة الثانوية) عددا من الأسماء كتبها أصحابها بأيديهم ، منها (والكلام من ذاكرتى الآن) : أسمى

(بالألف المقصورة) ، سوهيلا (بلام ثم ألف طويلة فى آخرها) ، ثوريا (بالواو بعد الثاء)، لينا (بالألف المطولة) وعندنا رجل سمى ابنة له «ليندا» ، فسألته مرة : كيف يتهجى اسم ابنته بالفرنجية ، ففعل وأخطأ . إن كلمة ليندا من اللغة الأسبانية ، وهى تكتب بلامين فى أولها ، ولم يكن هو يعرف ذلك ، وأحسب أنه لم يكن يعرف أن معنى ليندا فى الأسبانية «جميلة » .

ولكن الناس يؤخذون عادة بالألفاظ ، وقلما ألقوا بالا إلى المعانى .

ومن الأسماء الرائجة اليوم بين جماعات منا هذه الغرائب : فادى ، فادية ، نادين نورا (بالتفخيم)، ريما (بالألف الطويلة ، على أنها عندهم مونث ريم) ، مايا ، وأمثالها .

هذه كلمة فى الأسماء المعبَّدة وما يتعلق بها من قرب ، أرجوأن أكون قد كشفت بها عن جانب يستحق أن يخصه الباحثون بمقال أكثر تفصيلا .

عمر فروخ
عضـــو المجمع من لبنان